الظاهرة الاجتماعية عند إميل دوركايم (تحليل اجتماعي)

الدكتور
طالب عبد الكريم كاظم القريشي
جامعة القادسية ـ كلية الآداب

الظاهرة الاجتماعية عند إميل دوركايم (تحليل اجتماعي)

الدكتور
طالب عبد الكريم كاظم القريشي
جامعة القادسية - كلية الآداب

الخلاصة :

تتناول الدراسة موضوع الظاهرة الاجتماعية الذي يشكل الهم الفكري الرئيسي لعلم الاجتماع عند إميل دوركايم . فالظاهرة الاجتماعية عند دوركايم تتميز بصفات نوعية ولها وجود مستقل عن الظواهر الأخرى، كما ان هذه الظواهر تخضع في نشأتها وتطورها وتغيرها لقوانين يجب ان نكتشفها وليس هذا إلا لان الظواهر الاجتماعية أشياء لها وجودها كالأشياء التي تدرسها العلوم التي تبحث في العالم المادي . لذا يجب معالجة هذه الظواهر على انها أشياء تخضع للملاحظة والمشاهدة وهذا لا يعني انها أشياء مادية، بل انها أشياء ذات وجود حقيقي وليست تصورات خيالية . لذلك يجب على عالم الاجتماع ان ينهج المناهج العلمية في دراساته وبحوثه الاجتماعية وان لا يعتمد على أية أفكار فلسفية سابقة . وعن طريق هذا المنهج تمكن دوركايم من فصل علم الاجتماع عن الفلسفة وان كان هذا الفصل ليس فصلاً نهائياً . لأن المبادئ العامة التي سيتوصل اليها علم الاجتماع ستحتاج حتماً إلى فلسفة خاصة يتم من خلالها تفسير تلك النتائج وتحليلها، وكان هدف دوركايم من ذلك خلق فلسفة جديدة تقوم على ما تستخلصه العلوم ولاسيما العلم الجديد وهو علم الاجتماع .

المقدمة :

يعد إميل دوركايم Emile Durkheim (١٨٥٨-١٩١٧) من أعظم وأشهر علماء الاجتماع الفرنسيين، بل ومن أشهر رواد علم الاجتماع في العالم . وذلك لما قدمه من إسهامات نظرية ومنهجية وما قام به من دراسات ومؤلفات علمية كان لها أثراً كبيراً في النظرية الاجتماعية المعاصرة، وما حظيت به من اهتمام كبير من مفكري ومنظري علم الاجتماع الذين عاصروه والذين جاءوا من بعده . ولد في ابينال (Epinal) باللورين، المقاطعة الفرنسية الشرقية عن أسرة يهودية تتمسك بتعاليم الدين . أراد والده أن يسير على نهجه بأن يصبح رجل دين، إلا أن دوركايم قد أحب منذ حداثته مهنة التدريس فصمم أن يصبح مدرساً، وليس رجل دين كما كانت أسرته ترغب في ذلك . وقد ظل حتى الثامنة عشرة من عمره طالباً متفوقاً في مدرسة ابينال، ثم في مدرسة لويس الكبير الثانوية وأخيراً دخل مدرسة المعلمين العليا عام ١٨٧٩. حصل بعدها على شهادة مسابقة التدريس في الفلسفة ١٨٨٢، وقام بتدريس

هذه المادة في مدارس كثيرة، مع اهتمامه الكبير بالدراسات الاجتماعية . الأمر الذي دعاه الى اخذ إجازة دراسية أمضى شهراً منها في ألمانيا . وهناك تعرّف على فكر فاجنر وشمولر وفونت وتأثر بهم وانعكس هذا على موقفه الفلسفي سواء من الفكر أو من الواقع . بالإضافة الى ولعه الشديد بأفكار فلاسفة عصر التنوير من أمثال جان جاك روسو ومونتسكيو، فضلاً عن سان سيمون الذي عده أستاذه في علم الاجتماع.(١)

تأثر دوركايم بكتابات وتعاليم عالم الاجتماع الفرنسي أوكست كونت (A.Comte) فقد استعار منه عدة مفاهيم اجتماعية استطاع تطويرها واعتمادها في نظريته الاجتماعية الجمعية كمفهوم الوضعية (Postitivism) ومفهوم الاجتماعية (Sociologism) . إلا الفارق الرئيسي بين كل منهما هو ان أوكست كونت قد ركز اهتمامه على مشكلات التغير والديناميكية الاجتماعية، في حين ركز دوركايم اهتمامه الأساسي على دراسة المشكلات السكونية للبناء الاجتماعي والسيطرة الاجتماعية .(٢)

لقد مثلت آراء وطروحات دوركايم نقطة تحول مهم في تاريخ علم الاجتماع والفكر الاجتماعي المعاصر . فقد تجنب الكثير من المشكلات التي أثارها علماء الاجتماع التطوريون في القرن التاسع عشر، وجعل اهتمامه منصباً على تحديد موضوع علم الاجتماع وتمييزه عن موضوع علم النفس، وتحريره من الفلسفة الاجتماعية . وحاول جاهداً ان يحتفظ لعلم الاجتماع بكيانه الخاص كعلم يسعى لتفسير الواقع الاجتماعي تفسيراً شاملاً، ودعم دوركايم موقفه هذا بمجموعة من الدراسات المتخصصة التي تناولت منهج علم الاجتماع وتقسيم العمل والانتحار والدين . وبذلك انشأ دوركايم مدرسة فكرية هامة في علم الاجتماع، بل ان تأثيره قد جاوز ميدان علم الاجتماع ذاته، فانعكس على تفكير المتخصصين في التاريخ والأثنولوجيا والقانون والاقتصاد والدين وعلم النفس .(٣) لقد اقتبس دوركايم من أستاذه كونت العديد من المفاهيم والنظريات لاسيما النظرية الوضعية ومناهج البحث العلمي وأهمية الجماعة في تحديد السلوك الإنساني ومبادئ السكون والديناميكية الاجتماعية، كما بذل جهداً نظرياً يكاد ينفرد به في تحقيق استقلالية علم الاجتماع عن العلوم الأخرى . فعلم الاجتماع كما يعتقد دوركايم هو علم يتخصص بدراسة الظواهر الاجتماعية، وتخصصه بدراسة هذه الظواهر يجعله مستقلاً عن العلوم الأخرى ويجعله ميداناً واضحاً ومحدداً . بعد ان شعر بأن شخصية هذا العلم قد تعرضت لعمليات تشويه متعددة كادت ان تقضي عليه، الأمر الذي حدا به الى ان يفرز جانباً كبيراً من كتابه (قواعد المنهج في علم الاجتماع) تناول فيه تحديد مضمون الظاهرة الاجتماعية والرد على كل الادعاءات والهواجس التي أثيرت حول استقلالية علم الاجتماع .(٤) وتمشياً مع تقدم ذكره تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على موضوع الظاهرة الاجتماعية التي تفرد إميل دوركايم بتحديد خصائصها وصفاتها وتشخيصها،

بوصفها الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع والتي اعتمدنا فيها على بعض المصادر العلمية المتيسرة بين أيدينا في هذا المجال والتي مكنتنا من الإحاطة بموضوع البحث بالقدر الذي جعل هذا البحث ذا فائدة لا بأس بها . والله هو الموفق وبه نستعين .

المبحث الأول

في مفهوم الظاهرة الاجتماعية

يعرّف بعض الباحثين علم الاجتماع بأنه العلم الذي يدرس الظواهر أو النظم أو العلاقات أو الأنماط الاجتماعية دراسة تحليلية وضعية، أي دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة مبنية على أساس بحوث علمية لكي يستنتج أو يستقرئ منها القواعد والقوانين التي تخضع لها هذه الظواهر . وذلك على غرار ما تصنع العلوم التي تتناول ظواهر المادة كالطبيعة والكيمياء والفلك وغيرها .(٥) فعلم الاجتماع أذن ليس فلسفة اجتماعية كما انه ليس علماً معيارياً، فهو لا يتعرض لما ينبغي ان يكون، إذ انه ينتمي إلى الدراسات الوصفية الوضعية، فموضوعه دراسة الظواهر الاجتماعية كما هي لكي يصل بشكل موضوعي إلى القوانين التي تخضع لها هذه الظواهر بأنواعها المختلفة من اقتصادية ودينية وأخلاقية ونفسية وتربوية وقانونية وقضائية ولغوية ...الخ، والى العوامل البيئية التي تشكل هذه الظواهر.(٦)

ويعرّف البعض الآخر علم الاجتماع بصورة أكثر إيجازاً على غرار أوكست كونت بقوله ان علم الاجتماع هو دراسة المجتمع وما فيه من الظواهر الإنسانية .(٧) والواضح من التعريفين السابقين ان هناك تركيزاً واضحاً على تحديد مجال علم الاجتماع بدراسة الظواهر الاجتماعية، وهذا التحديد في الواقع غير دقيق من الناحية العلمية لأنه يحصر مجال علم الاجتماع بدراسة قطاع واحد من الحياة الاجتماعية، ذلك ان الظاهرة الاجتماعية تعتبر واحدة من المواضيع العديدة التي يدرسها علم الاجتماع كالأسرة والزواج والمجتمع الكلي وجماعاته وعلاقاته ومؤسساته البنيوية المختلفة .

ومهما يكن من أمر فأن الظاهرة الاجتماعية تعتبر واحدة من المواضيع الرئيسية في علم الاجتماع . ولكن يحق لنا ان نتساءل عن ما هو المقصود بالظاهرة الاجتماعية ؟ وما هي خصائصها وصفاتها وطبيعتها وأنواعها والقوانين التي تخضع لها ؟ وما الذي يميزها عن غيرها من الظواهر النفسية والاقتصادية والطبيعية والدينية ...الخ .

ان الإجابة عن هذا السؤال تواجه قدراً كبيراً من الصعوبة نظراً لاختلاف علماء الاجتماع فيما بينهم على تحديد مفهوم الظاهرة الاجتماعية، وهذا الاختلاف عائد إلى عدم تطابق وجهات نظرهم عن المجتمع وطبيعته وظواهره واختلاف اتجاهاتهم الفكرية والإيديولوجية والمدارس الاجتماعية التي ينتمون إليها . فهناك من يعّرف الظاهرة الاجتماعية على أنها التفاعل بين الناس في الزمان والمكان .(٨) وهناك

من يعرّف الظاهرة الاجتماعية بأنها هي فعل اجتماعي يمارسه جموع من البشر، أو هم يتعرضون له أو يعانون منه أو من نتائجه .[٩] وتُعرّف أيضاً بأنها النظم الاجتماعية والقواعد والاتجاهات العامة التي يشترك بإتباعها أفراد المجتمع ويتخذون منها أساساً لتنظيم حياتهم العامة، وتنسيق العلاقات التي تربطهم بعضهم ببعض وبغيرهم . كالنظم التي يسير عليها المجتمع في شؤونه السياسية الاقتصادية والخلقية والعقائدية والقضائية وما إلى ذلك .[١٠] ويعرّفها عالم الاجتماع الأمريكي جيمي أبرب بأنها أية مادة أو موضوع تتعلق بطبيعة علاقة أو قيمة اجتماعية أو عملية اجتماعية .[١١] كذلك يعرّف ألن بيرو الظاهرة الاجتماعية بقوله أنها كل علاقة وكل حادثة أو واقع يعبر بشكل أو بآخر عن أي مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية .[١٢] كما يعرّفها إميليو وايلامز بالمعنى الضيق بقوله ان جميع عمليات التفاعل الاجتماعي يمكن ان نطلق عليها ظواهر اجتماعية .[١٣] وهناك من يعرّف الظاهرة الاجتماعية على أنها أساليب التفكير وقوالب العمل التي يسير عليها الأفراد في أعمالهم شاءوا أم لم يشاءوا في كل مجالات الحياة الاجتماعية، وهي كغيرها من الظواهر لها مشيئتها وخارجيتها وموضوعيتها كما تمتاز بأنها ملزمة أي أنها مزودة بصفة الجد والإلزام .[١٤]

ولعل من أكثر التعاريف انتشاراً وذيوعاً في الأوساط العلمية السوسيولوجية هو ذلك التعريف الذي وضعه إميل دوركايم الذي ينص على ان الظاهرة الاجتماعية هي كل ضرب من السلوك ثابتاً كان أم غير ثابت، يمكن ان يباشر نوعاً من القهر الخارجي على الأفراد، أو هي كل سلوك يعم في المجتمع بأسره، وكان ذا وجود خاص مستقل عن الصور التي يتشكل بها في الحالات الفردية .[١٥] وأمثلة هذه الظواهر كثيرة في المجتمع كما يرى دوركايم كقواعد الأخلاق والأسرة والممارسات الدينية وقواعد السلوك المهني، وهذه الحقائق هي التي تشكل الميدان الحقيقي للدراسة السوسيولوجية كما يعقد دوركايم . فالظواهر الاجتماعية تمثل تيارات اجتماعية قائمة، حتى وان لم يكن هناك تنظيم اجتماعي محدد بوضوح مثل موجات الحماس التي تدفع الفرد إلى الاندماج في الحشد أو الجمهرة . وهذه التيارات اجتماعية في جوهرها، لان لها واقعاً موضوعياً كما أنها تمارس ضغطاً على الأفراد .[١٦]

أما عالم الاجتماع العربي ابن خلدون فقد استعمل مصطلح العمران للإشارة إلى مجموعة واسعة من ظواهر الاجتماع الإنساني تشمل المجتمع البدوي والمجتمع الحضري والدول والخلافة والملك والصنائع والمعاش والكسب ووجوهه والعلوم واكتسابها وتعلمها، إلا انه لم يعرف هذه الظواهر أو يبين خصائصها . إذ يقول ابن خلدون في كتابه المقدمة " اعلم انه لما كانت حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول

ومراتبها، وما ينتجه البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال " .[١٧]

ويرى بعض المتخصصين ان ابن خلدون في فهمه لموضوع العمران يقترب من إميل دوركايم الذي ركز على ان المجتمع أكثر من مجموع الناس الذين يشكلونه، فهو يشمل البناءات الاجتماعية التي تتخذ أنماطاً متنوعة كالعادات والتقاليد بالإضافة إلى الهيئات الاجتماعية والجماعات المهنية . وقد نظر ابن خلدون إلى هذه البناءات نظرة دوركايم إلى الظواهر الاجتماعية، فهي حقائق لها طبيعتها الخاصة، فعلى الرغم من أنها ليست أشياء مادية بل اتفاقات، أو معانٍ مشتركة . إلا ان لها قوة الأشياء المادية في التأثير على سلوك الناس .[١٨] وقد صنّف ابن خلدون هذه الظواهر في كتابه المقدمة إلى صنفين رئيسيين: الأول، ظواهر تتعلق ببنية المجتمع كالظواهر التي تتصل بالحضر والبدو، واثر العوامل الجغرافية على العادات والتقاليد، وتوزيع السكان على الأرض . ويماثل هذا التصنيف ما أطلق عليه دوركايم اسم علم المورفولوجيا الاجتماعية . والثاني، ظواهر تتعلق بالنظم العمرانية، وهي تختلف باختلاف وجوه النشاط العمراني فمنها ما هو سياسي ومنها ما هو ديني واقتصادي ولغوي .[١٩]

مما تقدم أعلاه يمكننا ان نستنتج تعريفاً إجرائياً مفاده ان الظاهرة الاجتماعية عبارة عن قواعد واتفاقات مشتركة بين الأفراد تتعلق بإشباع الحاجات وبتحقيق المجتمع لأهدافه، علماً ان هذه القواعد والاتفاقات تتأثر بالبيئة الطبيعية التي توجد فيها، فالظاهرة الاجتماعية لا تنتج من فراغ وإنما تنتج من خلال تفاعل الأفراد وهم يشبعون حاجاتهم في بيئة معينة، لها خصائص محددة وتمارس عليهم نوعاً من القهر والإلزام، فتحدد حاجاتهم كما تحدد لهم وسائل إشباع هذه الحاجات، وهي بهذا المعنى لها وجود مستقل بذاته كما ان لها قوانيناً خاصة تخضع لها في تطورها وتغيرها .

المبحث الثاني

الظاهرة الاجتماعية عند إميل دوركايم

لقد أفاد دوركايم من جميع الدراسات الاجتماعية السابقة عليه ولاسيما أفكار أوكست كونت وهربت سبنسر (H.Spencer)، ولكنه نقدها جميعاً لكي يتخذ طريقاً خاصاً به . فقد حمل على المدارس الميكانيكية والحيوية والنفسية، مؤكداً أنها غير كافية لتفسير الظواهر الاجتماعية التي لها نوعيتها وميزاتها الخاصة بها المستقلة عن ميزات الظواهر المادية والإنسانية الفردية، وعلم الاجتماع في رأيه يدرس الظواهر الاجتماعية لكي يستخرج القوانين التي تخضع لها ومن ثم نستطيع على أساس هذه القوانين أن ندخل الإصلاحات التي نراها على أسس علمية مستنيرة . لذا يجب علينا كما يرى دوركايم ان ندرس الظاهرة الاجتماعية في ذاتها التي لا يمكن ان تكون مشابهة للفرد في صفاته الحيوية والنفسية لأن دراسة

نفسية الفرد أو صفاته البيولوجية لا توصلنا إلا إلى ظواهر خارجة عنا، إذ ان ما نجده في داخل كل فرد هي على الخصوص القواعد الأخلاقية والدينية والقانونية والسياسية واللغوية ...الخ، وتبعاً لذلك يعتقد دوركايم ان الظاهرة الاجتماعية تستدعي منا التعامل معها بصورة مغايرة .[٢٠] ولكن قبل ذلك لابد لنا أولاً ان نحدد ماهية تلك الظاهرة وخصائصها النوعية .

أولاً : ماهية الظاهرة الاجتماعية وخصائصها النوعية :

يرى دوركايم ان تحديد ماهية الظاهرة الاجتماعية وتحديد خصائصها النوعية هي من أولويات البحث العلمي الموضوعي لما له من صلة أساسية بقيام علم الاجتماع بوصفه علماً مستقلاً بذاته . لذا نجده قد خصص الفصل الأول من كتابه (قواعد المنهج في علم الاجتماع) لمعالجة هذا الموضوع، حيث أشار إلى ان هناك ظواهر معينة في الحياة الاجتماعية يتعذر تفسيرها في ضوء التحليلات النفسية أو الطبيعية . وان هناك أنماطاً من السلوك وأشكالاً من التفكير والشعور تتميز بأنها تتم بمعزل عن إرادة الفرد، وتتصف بقوة قهرية . ومن الأمثلة العديدة لهذه الظواهر يذكر دوركايم الممارسات الدينية والقواعد المرعية في إطار الأسرة، أو ما يتعلق منها بنشاطات الأفراد السياسية أو الاقتصادية .[٢١] ففي الفصل الأول من الكتاب السالف ذكره اتجه دوركايم إلى تحديد طبيعة الظواهر الاجتماعية قبل البدء بتحديد المنهج الذي يستخدم في دراستها . فإذا لم تكن هناك ظواهر اجتماعية مستقلة عن الظواهر التي يدرسها علم النفس لما كانت هناك حاجة لإنشاء علم جديد هو علم الاجتماع، لذا كان دوركايم حريصاً على تعريف الظاهرة الاجتماعية وتحديد الخصائص التي تميزها . ان الظاهرة الاجتماعية كما يرى دوركايم هي ليست كل شيء يحدث في المجتمع، فالنوم والأكل والتأمل هي ليست ظواهر اجتماعية . لذا يسوق دوركايم الكثير من الأمثلة عن الظواهر الاجتماعية، فيقول ان الطقوس الدينية والعادات الاجتماعية ونظم الزواج والطلاق والقرابة والمصاهرة هي صور مختلفة من الظواهر الاجتماعية . وهذه الظواهر الاجتماعية تفرض على الفرد الالتزام بسلوك معين وعدم الحياد عن قواعده وأحكامه .[٢٢]

ولكن كيف نستطيع ان نتعرف على الظاهرة الاجتماعية ؟ يجيب دوركايم على السؤال بالقول اننا نستطيع التعرف عليها من خلال ما تمارسه من قوة ملزمة على الأفراد . وقد أشار دوركايم في مواضع كثيرة الى حالات يمكن من خلالها ان نستوضح معنى القهر والإلزام الذي يقصده . فهناك قهر أو إلزام مفروض على الفرد حينما ينخرط في حشد أو جمهرة، إذ تظهر الاستجابات الجمعية للمواقف وتطغى على الشعور الفردي تماماً ومثل هذه الظاهرة اجتماعية بالضرورة في رأي دوركايم لأنها مشتقة من الجماعة ككل، وليس لها أي أساس فردي .[٢٣] أما الطريقة الثانية فتتمثل في انتشار الظاهرة وعموميتها في الجماعة . ويشير دوركايم في هذا الصدد الى ان المحاكاة ليست ظاهرة اجتماعية حقيقية

كما يرى تارد(G.Tarde) ذلك انها أي المحاكاة عملية فردية تكمن في الفرد ذاته برغم النتائج الاجتماعية المتمخضة عنها . وقد تكون المحاكاة ظاهرة عامة، إلا انها ليست ملزمة، مما يجعلها ظاهرة غير اجتماعية . أما حينما نتصور النظم الاجتماعية على انها معتقدات، وأنماطاً من السلوك الناتج عن الحياة الجمعية للجماعة، عند ذاك يمكن ان تصبح ظواهر اجتماعية حقيقية لها كيانها الخاص ووجودها المستقل خارج إطار الفرد وقد زودت بقوة قهر تمكنها من فرض نفسها عليه .(٢٤)

ويضيف دوركايم الى ذلك بالقول بأنه ليس بإمكان الفرد ان يخلط بين هذه الظواهر وبين العضوية، وذلك لان الظواهر الأولى تنحصر في بعض التصورات والأفعال . كذلك لا يمكن الخلط بينها وبين الظواهر النفسية وذلك لان الظواهر الأخيرة لا توجد إلا داخل شعور الفرد وبسببه (٢٥)، فهذه الظواهر أذن من جنس قائم بنفسه ويجب ان نصفها بأنها اجتماعية دون سواها وهذا الوصف يناسبها . أذن نحن حيال نوع من الظواهر التي تنطوي على صفات ذاتية من جنس خاص جداً وتنحصر في ضروب من السلوك والتفكير والشعور وهي توجد خارج الفرد وتمارس عليه قهراً . ومن جهة أخرى فأن هذا الوصف يناسب تلك الظواهر دون غيرها وذلك لان كلمة (اجتماعي) لا تدل على معنى معين إلا بشرط ان تعبر عن بعض الظواهر التي لا تدخل في أي طائفة من الظواهر التي سبق تصنيفها وتسميتها، ومن ثم فأن لها منطقة نفوذ خاصة بعلم الاجتماع . (٢٦)

وتستمد الظواهر الاجتماعية أصولها من المظاهر الجمعية للمعتقدات والممارسات الجماعية . فالعمومية ليست هي العلامة المميزة لهذه الظواهر، إذ ان الفكرة التي تخالج تفكير الفرد لا تكتسب صفة الاجتماعية لهذا السبب . فهناك فرقاً جوهرياً بين الظواهر الاجتماعية والظواهر الفردية، فالظواهر الاجتماعية تشير الى أنماط معينة من التفكير والسلوك تكتسب صفة الاستمرار والدوام وتتشكل كأنماط متميزة عن الحوادث الجزئية الفريدة التي أدت اليها . ومن هنا يرى دوركايم ان هذه الأنماط (الوقائع الاجتماعية) تتشكل في إطار معين فتبدو كحقيقة ماثلة في حد ذاتها مستقلة عن تجلياتها الفردية، وبذلك نصبح أمام ظواهر اجتماعية بمعنى ضيق جداً لمفهوم (اجتماعي) . وتلك التجليات الفردية قد تشير الى ظواهر اجتماعية نفسية يهتم بها عالم الاجتماع على نحو غير مباشر .(٢٧) ولما كانت الظواهر الاجتماعية شيئاً آخر إلا نماذج للتفكير والعمل يرسمها العقل الجمعي لكي يسير عليها الأفراد بحيث تصير القواعد الموضوعية بمثابة قوالب يصب فيها الأفراد فيها أعمالهم ويتصرفون بمقتضاها، فأن قدسية هذه القواعد وإجلالها هي من قدسية العقل الجمعي نفسه وإجلاله . لذلك لا يتردد العقل الجمعي في رسم عقوبات رادعة للخارج عليها صيانة للحياة الجمعية نفسها، فنحن نعتبر الظواهر الاجتماعية بمثابة طرائق للعمل والتفكير، تعرف بهذه الخاصة وهي أنها تستطيع ان تؤثر على العقول الفردية تأثيراً إلزامياً.(٢٨)

ثم يُلح دوركايم في ضرورة ملاحظة ما للظواهر الاجتماعية من صفات نوعية خاصة بها تختلف بها عن الظواهر الفردية حيوية كانت أم نفسية . ولتوضيح هذه الطبيعة الخاصة للظاهرة الاجتماعية يشرح دوركايم تلك الصفات الخاصة التي تميزها عن غيرها من الظواهر وهذه الصفات هي :

١- **الموضوعية** : فالظاهرة توجد بشكل مستقل عن الأفراد الذين أنتجوها، وهم يتفاعلون في حياتهم اليومية لإشباع حاجاتهم المختلفة . وللظاهرة بهذا الوصف وجود مستقل بذاته، كما ان لها قوانيناً خاصة تخضع لها في تطوها وتغيرها . فظواهر الدين واللغة والعادات توجد على الدوام من جيل الى جيل لا تتأثر بتغير الأفراد، ثم ان الأفراد يولدون فيجدون هذه الظواهر فلا يرون بداً من تعرفها والتعود عليها وتشكيل سلوكهم ونشاطهم وفقاً لمقتضياتها . وذلك يعني ان الوجود الاجتماعي سابق للوجود الفردي لأن الأفراد منذ ولادتهم يخضعون لنظم وظواهر سابقة على وجودهم في الحياة ومستقلة عن ذواتهم الفردية ومتحققة خارج شعورهم الفردي كحقائق شيئية واقعية . وهذا الوجود المستقل يعطي للظاهرة الاجتماعية صفة الموضوعية، كما تدعم موضوعيتها من خلال اشتراك الأفراد بها . فموضوعيتها ليست موضوعية مادية تماماً، وإنما هي موضوعية سوسيولوجية . وغالباً ما كان دوركايم يؤكد ان الظاهرة الاجتماعية ليست شيئاً، لكنها كالشيء من حيث تأثيرها على سلوك الأفراد . (٢٩)

ويسوق دوركايم الأدلة والبراهين التي تؤكد حقيقة ما ذهب اليه بالقول ان السنن المكتوبة المتعلقة بأمور السياسة والدين والاقتصاد والعادات تعتبر دليلاً لا يعتريه الشك في جودها الواقعي . كذلك ما يتعلق بالأنماط الفكرية والسلوكية التي لم تُدوّن ولم تُسطر وإنما تعتبر أرثاً إنسانياً، فإنها تتحقق تحققاً عملياً وبشكل واضح في المناسبات التي لها أهمية اجتماعية خاصة كالأعياد الوطنية والطقوس الدينية وغيرها . هذا بالإضافة الى ان بعض الظواهر الاجتماعية التي تبدو في صورة اتجاهات وتيارات اجتماعية، أصبحت موضوع دراسة كمية من الممكن قياسها وتحديدها وإخضاعها للقوانين النظرية كحالات الطلاق وازدياد نسب الانتحار تحت ضغط الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة والتي يمكن دراستها وتحليل عوامل حدوثها دراسة واقعية إحصائية وتحديد ارتباطاتها .(٣٠)

٢- **العمومية** : فالظاهرة الاجتماعية سواء كانت قواعداً أو اتفاقات مشتركة أم أنماطاً من السلوك المنظم والمتكرر، فهي تتصف بأنها عامة بين غالبية أفراد المجتمع الواحد وجماعاته . وهناك معنى آخر للعمومية يبرز من خلال كتابات دوركايم يشير الى وجود الظاهرة الاجتماعية في المجتمعات الإنسانية عامة . فالأسرة ظاهرة توجد في جميع المجتمعات الإنسانية عامة ولكن بصيغ متعددة . فقد

تأخذ الشكل الأبوي في بعض المجتمعات، وقد تأخذ الشكل الأمومي في مجتمعات أخرى، أو قد تأخذ شكلاً جماعياً .[٣١] ويشير دوركايم أيضاً الى ان الظاهرة الاجتماعية تكتسب عموميتها من القهر أو القسر الاجتماعي، فالظاهرة إنما تغدو عامة من خلال كونها تفرض نفسها على الأفراد في سائر قطاعات المجتمع، أو في أوساط بعض شرائحه الخاصة . ذلك ان الظاهرة الاجتماعية تستمد أصولها من المظاهر للمعتقدات والممارسات المستمرة .[٣٢]

٣- **الإلزام أو القهر :** تعبر هذه الخاصية عن ظاهرة الضغط الاجتماعي، والتي تحتاج في تفسيرها ودراستها الى طبيعة اجتماعية مماثلة لها مستقلة بذاتها ويبدو هذا واضحاً من الخاصية الثالثة التي يعبر عنها دوركايم بقوله بأن الظواهر الاجتماعية ملزمة وجبرية . إذ ينظر اليها الأفراد نظرتهم الى ضرورة أو سلطة لها هيبتها ولا بد من احترامها، وانها تستمد سلطانها عليهم مما زودت به من قوة قاهرة تبدو فيما يحيق بهم من جزاء إذا سولت لهم نفس أي فرد منهم الخروج عليها أو التنكر لها فهي تتميز بسلطتها التي تفرضها من الخارج على الأفراد .[٣٣]

وليست جميع الظواهر الاجتماعية سواء من حيث قوة القهر غير ان هذا القهر موجود دائماً، وان اختلف من حيث الشدة أو الضعف . ولا يشعر الأفراد بهذه السلطة إلا عندما يحاولون مخالفتها، حينئذ يتعرضون لعقبات وموانع أو يقعون تحت طائلة الجزاء المادي أو الأدبي أو سخرية الرأي العام ونقمته ونفوره واستنكاره واستهجانه الى غير ذلك من أنواع الجزاء الثقافي والحضاري . كما ان خاصية القهر والإلزام لا يقتصر وجودها على الظواهر الاجتماعية التامة التكوين فحسب، بل توجد أيضاً في الظواهر الاجتماعية التي لم تستقر بعد والتي يطلق عليها اسم (التيارات الاجتماعية) كموجات الحماسة أو الشفقة التي تجتاح إحدى الجماعات في ظروف عارضة . ومثل هذه التيارات ليست وليدة التفكير الذاتي للأفراد كما أنها تنطوي على تأثير قهري غير ظاهر ويكفي للتأكد من وجود هذا التأثير ان يحاول الفرد مقاومة مثل هذه التيارات كي يشعر فعلاً بوجوده وتأثيره . ويعود السبب في عدم شعور أفراد المجتمع بضغط وإلزام الظاهرة الاجتماعية الى عوامل التربية الاجتماعية التي أحاطت بهم منذ ولادتهم فهذه العوامل كفيلة بترويض الطبيعة الإنسانية الحيوية، لتنشئة الفرد نشأة اجتماعية يتمثل بفضلها قواعد وأنماط الحياة بحيث تستقر هذه الظواهر في نفسية الأفراد عن رضا واطمئنان، فلا يجدون غضاضة في تقبلها واحترامها بل والعمل على صيانتها . وبهذا يتهيأ التكوين الفردي منذ الولادة لقبول هذه الظواهر الاجتماعية تماماً كما يتهيأ التكوين الجسمي للفرد لتحمل الضغط الجوي دون الشعور به . وهذه القوة القاهرة تظل كامنة طالما كان الفرد يسير وفقاً لمقتضياتها ولكنها تخرج الى الفعل وتثبت وجودها كلما حاول الفرد ان يحيد عن

نظم المجتمع العتيدة .

فالظاهرة الاجتماعية على الرغم من انها توجد بشكل موضوعي خارج عقل الفرد إلا انها توجد أيضاً داخل عقله . لذا يؤكد دوركايم ان كلا منا يحمل المجتمع في عقله على شكل اتفاقات ومعانٍ ومبادئ أخلاقية اكتسبها الفرد من خلال عملية التطبيع الاجتماعي، وأصبحت بالتالي جزءاً من محتوى الذات لديه .(٣٤)

٤- **التلقائية :** تمتاز الظاهرة الاجتماعية برأي دوركايم بأنها تنشأ نشأة تلقائية مستقلة عن إرادة الأفراد المكونين للمجتمع، فهي ليست من صنع فرد أو بضعة أفراد مجتمعين، بل هي نتاج المجتمع ذاته . وتظهر على مسرحه بصورة تلقائية ومن وحي العقل الجمعي، وبفضل فاعلية وتفاعل وجدانات الأفراد واحتكاك رغباتهم وانصهار إرادتهم وتبادل أفكارهم واتصال آرائهم ووجهات نظرهم فيما يمارسونه من أوجه النشاط، وفيما يجابهونه من مشكلات . فهي ناجمة عن تأثير العقل الجمعي والأمثلة على ذلك كثيرة كالنظم الدينية التي يلتمس الإنسان منها معتقداته، ويستجيب تحت تأثيرها للمثل الأخلاقية ومعايير الخير والشر والفضيلة والرذيلة التي تنسجم مع مبادئ تلك النظم وكذلك الحال بالنسبة للنظم الأسرية والسياسية والاقتصادية والقضائية فهذه كلها لا يعمل الفرد على إقامتها، بل انه نشأ فوجدها ورتب أفكاره وسلوكه وفقاً لها متأثراً في ذلك بما يتلقاه من تربية أو توجيه، سواء في إطار البيت أو المدرسة أو البيئة التي يعيش فيها . إذ ان هذه الظواهر تفرض نفسها على الفرد فرضاً . بل لا بد له ان يمتثل لها ويكيف سلوكه وعلاقاته طبقاً لما تمليه عليه التشريعات الاجتماعية، وقواعد المعاملات الاقتصادية ومبادئ النظم السياسية وقيم المثل الخلقية وإلا تعرض للعقوبة الاجتماعية . وهذا كله من شانه ان يوحد ما يسمى بالوجدان الكلي أو العقل الجمعي، فلكل مجتمع وجدان كلي أو عقل جمعي يختلف باختلاف الزمان والمكان والملابسات الاجتماعية ويشتق وجوده من عناصر البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها.

٥- **الترابط** : وتتميز الظواهر الاجتماعية بالترابط كما يرى دوركايم، وهذا الترابط قد يكون :

أ- ترابطاً تاريخياً زمانياً في المكان الواحد أي ترابط بين الماضي والحاضر ويبدو ذلك في ظهور موجات اجتماعية تنطوي على تكرار ظواهر أو نزعات اجتماعية كانت موجودة في فترة زمنية ماضية مثل عودة النظام الملكي في فرنسا بعد قيام الجمهورية وما رافق ذلك من عادات وتقاليد وممارسات اجتماعية أو سياسية، وكذلك في حالة عودة موضة الملابس التي كانت سائدة في الماضي .

ب- وقد يكون الترابط مكانياً في الزمان الواحد كالتأثير المتبادل بين الدول المتجاورة واقتباس

بعضها من البعض الأخر بسبب التجاور والتأثير المتبادل بينها، فقد نجد في لغتنا العربية كلمات أو مسميات تعود في الأصل الى اللغة الفارسية أو التركية . كذلك الحال بالنسبة لبعض العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية الغربية التي طرأت على مجتمعاتنا العربية والإسلامية في الوقت الحاضر .(٣٥)

ثانياً : منهجية دوركايم في دراسة الظواهر الاجتماعية :

بعد ان يحدد دوركايم صفات الظاهرة الاجتماعية ينتقل الى القول بضرورة معالجة هذه الظواهر باعتبارها أشياء . وذلك بدلاً من الفكرة التي كانت سائدة في علم الاجتماع، حين كان العلم يعني بالتصورات بدلاً من التركيز على الأشياء . فقد كرس كونت وسبنسر على سبيل المثال لا الحصر جهودهما لمناقشة مجرى التقدم الإنساني، في حين ان التقدم تصور عقلي وليس ظاهرة يمكن التحقق منها بالبحث التجريبي . فالأشياء أذن تختلف عن التصورات الفكرية تماماً، كما تختلف المعرفة التي نكتسبها من الخارج عن معرفتنا الداخلية بالأشياء . ويعتقد دوركايم ان الأشياء تنطوي على كافة موضوعات المعرفة التي يتعذر إدراكها بالنشاط العقلي الخالص والتي يتطلب تصورها توافر بيانات خارجة عن العقل نحصل عليها بالملاحظة والتجربة أي تلك التي أمكن تشييدها من السمات الخارجية المباشرة . (٣٦)

كما يجب النظر الى الظاهرة الاجتماعية على أنها شيء محدد تحديداً آلياً أي ان يخضع للسبب والنتيجة، بحيث إذا توافرت المقدمات نتجت عنها النتائج . ويرى دوركايم بان الظواهر الاجتماعية لا يمكن تفسيرها إلا بالظواهر الاجتماعية التي تعززها وتكتمل معها، كما لا يمكن اختزال الظواهر الاجتماعية بالظواهر النفسية أبداً بل العكس هو الصحيح . فلا يجوز ان نفسر ظاهرة اجتماعية بظاهرة اقل منها في المرتبة كالظواهر الفلسفية والحيوية، لان تفسيرها بهذه الظواهر إنما لا يستطيع ان يفسر لنا الزاميتها . بل يجب ان يبحث عن تفسير الظواهر في الوسط الاجتماعي الذي نعيش فيه نفسه، فظاهرة الانتحار مثلاً لا يمكن تفسيرها بعوامل نفسية بحتة كتعرض الفرد الى التوتر والخوف والقلق ...الخ . بل يمكن تفسيرها بعوامل اجتماعية شاخصة كفشل الفرد في الدراسة أو السياسة أو الحب أو تعرض جماعته إلى كارثة أو أزمة تحز في نفسه أو انعزاله عن المجتمع لسبب من الأسباب أو بعضها تدفع الفرد إلى حياته بنفسه .(٣٧) فالأساس الأول لكل عملية اجتماعية مهما كانت أهميتها يجب ان يبحث عنه في تكوين الوسط الاجتماعي الداخلي، ولا شك ان العناصر التي يتألف منها هذا الوسط على نوعين الأشياء والأشخاص .

أما عن الأشياء فهي تنطوي على الأشياء المادية الموجودة في المجتمع والتي هي من نتائج النشاط الاجتماعي للأجيال السابقة كالقانون والتقاليد والعادات المرعية والآثار العلمية والفنية والأدبية ...الخ .

أما عن الأشخاص فيعني دوركايم بذلك دراسة كثافة السكان وحركاتهم، إذ ان كل هذه العوامل تؤثر في نشأة الظاهرة الاجتماعية وتطورها .[٣٨] وقد أدى ذلك بدوركايم إلى ان يؤكد انه من العسير ان ندرس الظواهر الاجتماعية اعتمادا على منهج الاستبطان، ذلك انه ليس هنالك ما يدلل على ان أفكارنا عن الأشياء تطابق الأشياء ذاتها . والغاية الأساسية لعلم الاجتماع هي تحقيق الموضوعية، إذ يتعين على عالم الاجتماع ان يتخذ موقفاً يماثل موقف العالم الطبيعي الذي يفترض انه يرتاد ميداناً غير معروف ومكتشف . وعندما يجري بحثه على هذا الشكل فأنه يستطيع التعرف على الظواهر من خلال ملاحظة الظواهر الخارجية الملموسة مثل المكانة الزوجية والولاء الديني ومعدلات الانتحار والمهنة وغيرها .[٣٩] ويحمل دوركايم على أصحاب المذهب النفعي الذين يفسرون الظاهرة الاجتماعية بما تحققه للأفراد من منافع مؤكداً ان السبب الموجه للظاهرة الاجتماعية يجب ان يبحث عنه بين الوقائع الاجتماعية السابقة، أما عن وظيفة الظاهرة الاجتماعية فيجب ان يبحث عنها في علاقاتها بهدف اجتماعي معين .[٤٠]

والى جانب هذا المنهج الذي يطلب فيه إميل دوركايم من الباحث الاجتماعي ضرورة دراسة الظواهر الاجتماعي على أنها أشياء أي على أساس أنها أشياء تقدم نفسها للملاحظة، فقد حدد دوركايم قواعد ذلك المنهج وطلب من العالم الاجتماعي التقيد بها عند إجراء البحوث والدراسات السوسيولوجية وهذه القواعد هي :

١- يجب على عالم الاجتماع ان يتحرر بصفة مطردة من كل فكرة سابق عن موضوع الظاهرة، فهذه القاعدة هي الأساس لكل طريقة علمية . وفي الواقع لم تكن طريقة الشك المنهجي لدى ديكارت (Descartes) إلا إحدى التطبيقات الفرعية لهذه القاعدة، كذلك نظرية الأصنام التي أشار اليها بيكون (Bacon) فقد كانت ترمي لذلك الغرض نفسه .

٢- ان من الواجب ان ينحصر موضوع البحث في طائفة خاصة من الظواهر التي سبق تعريفها ببعض الخواص المشتركة بينها . ومن الواجب أيضاً ان ينصب نفس البحث على كل الظواهر التي تتوفر فيها شروط ذلك التعريف . فيجب على الباحث أولاً ان يحدد معنى المصطلحات التي يدرسها الباحث كظاهرة الجريمة والأسرة والعشيرة ...الخ .

٣- من الواجب على عالم الاجتماع لدى شروعه في دراسة طائفة خاصة من الظواهر الاجتماعية، ان يبذل ما في وسعه في ملاحظة هذه الظواهر من الناحية التي تبدو فيها مستقلة عن مظاهر الحياة الفردية . فإذا أردنا مثلاً دراسة مشكلة التعاون وصوره المختلفة وجب علينا دراسة مجموعة القواعد القانونية التي تعبر عنه . وكذلك الأمر فيما يتعلق بالحياة العائلية . فملاحظة الظواهر الاجتماعية شرط ضروري يمكننا من التوصل إلى الصفات الثابتة التي تمكننا من الكشف عن حقيقة

هذه الظواهر، ومن ثم التعرف عن القوانين التي تخضع لها.[٤١]

ان تحديد إميل دوركايم لميدان علم الاجتماع على انه دراسة الظواهر الاجتماعية يمهد لمناقشاته المنهجية المتعمقة المضمنة في عدد من مؤلفاته، إلى جانب كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع . ويؤكد دوركايم في هذه المؤلفات ان الطبيعة النوعية للظاهرة الاجتماعية تمهد الطريق لأجل دراستها دراسة علمية باستعمال الأساليب الوضعية، والتحديد فانه من الممكن دراسة الظاهرة دراسة كمية باستعمال المنهج الإحصائي المقارن .[٤٢] وهذا المنهج يمكننا من قياس الظاهرة في المجتمعات أو مقارنتها في المراحل التي يمر بها المجتمع الواحد بهدف الوصول إلى تعميمات ذات مصداقية كبيرة . ولكي يتسنى لنا ان نجري مقارنات وموازنات صحيحة يجب علينا ان نفرق بين الظواهر العادية أو السليمة (Normal) والظواهر غير العادية أو غير السليمة أو المرضية (Pathology) . وهنا يرفض دوركايم اتخاذ فائدة المجتمع كمقياس لحالة الصحة والمرض ولكنه يعمد إلى علمي الطب والفسيولوجيا لكي يتخذ مقياساً شبيهاً بمقياسهما في الصحة والمرض الجسميين، فالشخص السليم عند الأطباء هو الشخص العادي أما غير السليم المريض فهو غير العادي . وكذلك تعتبر الظاهرة الاجتماعية سليمة إذا كانت عادية وعامة في المجتمعات التي تسير في نفس المرحلة التطورية التي بلغها المجتمع الذي ندرس ظواهره وإلا اعتبرت شاذة وبالتالي مرضية . ومن هنا نجد ان ظاهرة الجريمة مثلاً تعتبر ظاهرة عادية لأنها توجد في المجتمعات المختلفة في مراحلها التطورية في حين نرى ان انتشار ظاهرة الانتحار في المجتمعات الغربية قي القرن الماضي تعتبر في رأي دوركايم ظاهرة مرضية شاذة .[٤٣]

ثالثاً : القوى الجمعية ودراسة الظواهر الاجتماعية :

وترتبط معالجة دوركايم للظواهر الاجتماعية ارتباطاً وثيقاً بمناقشاته العديدة للضمير الجمعي الذي أوضح دوركايم عناصره العقلية والأخلاقية، حين حاول كشف وظائف القوى الجمعية في الحياة الاجتماعية . ويرى البعض ان تحليله للظواهر الجمعية والعقلية يقترب في بعض جوانبه من التصور الحديث لدور الثقافة في الحياة الاجتماعية . وقد اعتمد دوركايم هذا المنهج في التحليل في أعماله الأساسية التي أجراها عن تقسيم العمل الاجتماعي والانتحار والتفسير الاجتماعي للدين .[٤٤]

ففي كتاب تقسيم العمل الاجتماعي الذي نُشر عام ١٨٩٣ يبحث دوركايم في طبيعة التطور الاجتماعي والعوامل المؤدية اليه . ويتفق دوركايم مع سبنسر وأصحاب المذهب النفعي في ان تطور المجتمعات من بدائية إلى متحضرة يتبعه زيادة أكثر في تقسيم العمل وفي تخصص الأفراد .[٤٥] إذ يرى دوركايم ان الثقافات التقليدية التي ينخفض فيها تقسيم العمل تتميز بالتضامن الآلي أو الميكانيكي (Mechanical Solidarity) . ويعود ذلك إلى ان أغلبية أعضاء المجتمع يكونون منخرطين في مهن

متشابهة، وتربط بينهم تجربة مشتركة واعتقادات مشتركة أيضاً . وتتسم هذه المعتقدات بقوة ضاغطة كابتة، إذ تقوم الجماعة بإيقاع العقوبة بسرعة على من تسول له نفسه ان يتحدى طرائق الحياة التقليدية . وعلى هذا الأساس لن يكون ثمة مجال للفرد ان ينشق عن الجماعة . ويكون التضامن الآلي على هذا الأساس قائماً على الإجماع وتقارب المعتقدات، وحين يسود هذا النوع من التضامن في المجتمع يتميز الضمير الجمعي(Collective Conscience) بقوة ملحوظة . ويشير الضمير الجمعي في هذه الدراسة المبكرة إلى المجموع الكلي للمعتقدات والعواطف العامة بين معظم أعضاء المجتمع، والتي تشكل نسقاً له طابع متميز . ويكتسب هذا الضمير العام واقعاً ملموساً، فهو يدوم خلال الزمن ويدعم الروابط بين الأجيال .

بيد ان قوى التصنيع والتحضر قد أدت إلى التزايد في تقسيم العمل مما أسهم في انهيار هذا النوع من التضامن . ان التخصص في المهمات والتزايد في التفاوت الاجتماعي في المجتمعات الصناعية سيؤدي إلى قيام نظام جديد يتسم بالتضامن العضوي (Organic Solidarity) كما يعتقد دوركايم . وكلما ازداد هذا التضامن رسوخاً، كلما قلت أهمية الضمير الجمعي . ويزداد التضامن العضوي رسوخاً بازدياد تقدم المجتمعات وتدعيمها للتقدم الأخلاقي الذي يؤكد القيم العليا والحرية والإخاء والعدالة . إلا ان عمليات التغيير في المجتمعات الحديثة هي من السرعة والكثافة بحيث تُسفر عن صعوبات اجتماعية رئيسية . ويمكن ان تسبب آثارها في اضطراب الحياة التقليدية والمعتقدات الدينية وأساليب الحياة اليومية دون ان تطرح بدلاً منها قيماً جديدة واضحة . وقد ربط دوركايم بين هذه الأوضاع التفكيكية وبين ظهور حالة الضياع (Anomie) وهي الإحساس بانعدام الهدف أو بالقنوط الناجم عن الحياة الاجتماعية الحديثة . ان الأخلاق التقليدية التي كان ينطوي عليها الدين والتي كانت تقوم بمهمة الضبط سرعان ما تبدأ بالتفكك مع البدء بالتنمية الاجتماعية الحديثة، مما يدفع بعدد كبير من الأفراد إلى الإحساس بأن حياتهم اليومية لا معنى لها ولا دلالة .[٤٦]

وترتبط دراسة دوركايم عن تقسيم العمل في المجتمع بتحليله لظاهرة الانتحار (Suicide) الذي نشر في الأصل عام ١٨٩٧، والذي يمثل معلماً بارزاً في بحوث علم الاجتماع التي تتقصى العلاقة بين الفرد والمجتمع . كما أنه يتضمن عرضاً لنظريته في القهر الاجتماعي في أكثر صورها حدة، حيث يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتصوراته عن الضمير الجمعي . وفي ضوء ما أكده كتيليه ((Quetelet من أهمية الأساليب الكمية وضرورتها في العلوم الاجتماعية، حاول دوركايم ان يدرس بدقة وبقدر كبير من الفطنة الإحصائية معدلات الانتحار في قطاعات مختلفة من سكان أوربا . وقد أجريت قبل دوركايم دراسات عن الانتحار، غير انه قد أصر على تقديم تفسيرات سوسيولوجية لهذه الظاهرة . إذ يرى بأن الانتحار

هو ظاهرة اجتماعية لا يمكن تفسيرها إلا بحقائق اجتماعية أخرى، فالانتحار أكثر من مجرد تجميع لحقائق مفردة لأنه يمثل ظاهرة تحمل أنماطاً من الخصائص .(٤٧)

يقول دوركايم بان لكل مجتمع ميل أو اتجاه جمعي يدفع بعض أفراده إلى الانتحار . وهذا الميل أو الاتجاه يعبر عنه بواسطة معدلات الانتحار في المجتمع والتي لا تتغير إلا بتغير طبيعة وظروف ذلك المجتمع . ويضيف دوركايم قائلاً بأن التناقضات والأخطاء التي قد تظهر في البناء الاجتماعي لابد ان تكون عاملاً من عوامل تفاقم مشكلة الانتحار. فكلما كان الأفراد منسجمين مع المجتمع ومتكيفين لعاداته وتقاليده وظروفه كلما تنخفض نسبة الانتحار فيه . والعكس هو الصحيح إذا كان الأفراد غير متكيفين مع المجتمع ويعانون من مشكلات عدم التكامل والانسجام . لذا تزداد نسب الانتحار في المجتمعات الصناعية المعقدة، في حين تنخفض هذه النسب في المجتمعات التقليدية والبسيطة التي تتكون من جماعات تربط أفرادها علاقات ايجابية ومتكاملة . ويرى دوركايم ان معدلات الانتحار تكون مرتفعة في المدن عن مثيلاتها في القرى والأرياف، كما ترتفع هذه المعدلات بين المسيحيين البروتستانت بالمقارنة مع الكاثوليك، وبين الأثرياء بالمقارنة مع الفقراء، وبين العسكريين بالمقارنة مع المدنيين . كما لاحظ ميل معدلات الانتحار إلى الانخفاض في أوقات الحرب والى الارتفاع قي أوقات التغير أو عدم الاستقرار السياسي .(٤٨)

وقد خلص دوركايم إلى نتيجة مؤداها ان ثمة عوامل اجتماعية خارجة عن نطاق الفرد تؤثر في معدلات الانتحار . وربط هذا التفسير بمفهوم التضامن الاجتماعي وبنوعين من الروابط داخل المجتمع هما التكامل الاجتماعي والتنظيم الاجتماعي . إذ يعتقد دوركايم ان الأشخاص الذين يُدمجون بقوة في المجموعات الاجتماعية والذين تنظم تطلعاتهم المعايير الاجتماعية هم اقل ميلاً للانتحار. ورسم الملامح الرئيسية لأربعة أنواع من الانتحار اعتماداً على الوجود والغياب النسبيين للتكامل والتنظيم :

١- انتحار الوحدانية أو العزلة الاجتماعية (Egoistic Suicide) ويظهر هذا النوع من الانتحار كنتيجة لانعزال الفرد عن المجتمع لسبب يتعلق بالفرد أو يتعلق بالمجتمع . فالفرد لا يستطيع تكوين علاقة طبيعية مع المجتمع لعدم تذوقه لقوانين وعادات وتقاليد المجتمع وسخطه على نظامه ووضعه العام . والمجتمع من جانبه لا يعطي المجال للفرد بالتفاعل معه والانتماء إلى مؤسساته البنيوية نظراً لتناقض ميوله واتجاهاته ومصالحه وأهدافه وقيمه مع تلك التي يتمسك بها ويؤمن بها، لذا يشعر الفرد بالبعد والاغتراب عن المجتمع . الأمر الذي يمكن ان يدفعه إلى الانتحار.

٢- الانتحار الايثاري(Altruistic Suicide) ويختلف هذا النوع عن النمط السابق من حيث مجموعة من الاعتبارات، فالانتحار الايثاري نتيجة مباشرة للتضامن الاجتماعي واندماج الفرد في الجماعة

التي ينتمي إليها اندماجاً كلياً . ذلك ان الفرد يعبر عن اندماجه الاجتماعي بشعوره الدائم بأنه على استعداد لان يضحي بنفسه في سبيل الجماعة إذا تعرضت للخطر أو التهديد، وعندما تتعرض الجماعة إلى خطر العدوان أو التصدع فانه يقوم بالدفاع عنها بكل ما يملك من قوة وبأس وفي أحيان كثيرة ينتهج الصيغ الانتحارية لإنقاذها من مأزق التشتت والانقراض . وما العمليات الانتحارية التي قام بها الضباط اليابانيون إبان الحرب العالمية الثانية إلا نموذجاً لهذا النمط من الانتحار.

٣- انتحار التفسخ الاجتماعي (Anomic Suicide) وينتج هذا النوع من الانتحار عن تدمير مفاجئ للتوازن الاجتماعي والبناء الأخلاقي في المجتمع، كأن ترتفع معدلات الانتحار في أوقات الأزمات الاقتصادية أو الإفلاس ولا يرجع ذلك إلى الأزمة الاقتصادية في حد ذاتها أو إلى انتشار الفقر، بل إلى ما ينتج عن ذلك من تحطيم للتوازن الاجتماعي . فالتفسخ الاجتماعي الذي يعبر عن نفسه في ارتباك موازين الحياة واضطراب قيمها ومقاييسها وتشتت آمال وأهداف الفرد وتناقض مصالح الفرد مع مصالح المجتمع لا بد ان يدفع عدداً غير قليل من أبناء المجتمع إلى الانتحار .

٤- الانتحار القدري ورغم ان دوركايم لم يتلمس علاقة أو أهمية لهذا النوع بما كان عليه مجتمعه آنذاك، إلا انه اعتبره نتاجاً لوضع يكون المرء فيه واقعاً تحت وطأة التنظيم الاجتماعي القاهر. وفي مثل هذه الحالة يفضي قمع الفرد إلى حالة من العجز الكامل أمام القدر والمجتمع.(٤٩)

غير ان هذا العرض السريع لبعض النتائج التي انتهى اليها دوركايم لا يقدم صورة واضحة لدراسته عن الانتحار التي تعد دراسة رائدة من حيث قدرتها على الربط بين الإطار النظري والبحث الامبيريقي ربطاً متكاملاً .

أما دراسته عن التفسير الاجتماعي للدين فقد جاءت في كتابه (الصور الأولية للحياة الدينية) عام ١٩١٢ والذي يمثل آخر أعماله الهامة . ففي هذا الكتاب حاول دوركايم ان يطبق تحليله للقوى الجمعية أو الجماعية في دراسته للدين في أكثر مظاهره الأولية . وهو يقرر منذ البداية انه في هذا الكتاب سوف يدرس أكثر الديانات المعروفة لنا بدائية وبساطة، وهي تلك التي نجدها في مجتمع لا يجاوزه أي مجتمع آخر في بساطته . وقد وقع اختياره على إحدى القبائل الاسترالية التي تسمى الارونتا(Arunta) لكي يجري عليها دراسته المركزة من خلال بعض المصادر الثانوية . وقد انتخب دوركايم لدراسته هذه القبيلة وذلك لبساطة مجتمعها ولأنها تمثل مرحلة بعيدة أو قديمة من مراحل التطور، ونتيجة دراساته لهذه القبيلة كوّن دوركايم نظريته الأساسية في تفسير الدين بالشكل التالي :

ان حياة الجماعة هي المصدر المولد أو هي سبب أو مصدر الدين . فالأفكار والأفعال الدينية تشير أو ترمز الى الجماعة الاجتماعية (Social Group) . كما ان التمييز بين المقدس (Scared) والسيئ

أو الرذيل (Profane) نجده عاماً في كل الأديان كما ان له تطبيقات مهمة في الحياة الاجتماعية بصورة عامة . فالمقدس حسب رأي دوركايم يشير الى الأشياء التي تشمل المعتقدات الدينية، الطقوس والنذور ...الخ من الأمور الأخرى التي عرفت اجتماعياً على أنها ذات طابع ديني وهو أساس الإلزام الاجتماعي.(٥٠)

ويتضمن كتاب (الصور الأولية للحياة الدينية) بالإضافة إلى تحليل ظاهرة الدين محاولات مبدئية لصياغة تفسيرات مماثلة للصور الأساسية للتصنيف ومقولات الفكر ذاتها، إذ وجد دوركايم ان هذه التصورات الجمعية تستمد جذورها أيضاً من حياة الجماعة . وإذا كنا لا نستطيع في هذا الصدد ان نتتبع مناقشات دوركايم المستفيضة للمحددات الاجتماعية للتصنيف ومقولات الفكر، فان من المهم ان نشير إلى ان تأملاته في هذا الميدان قد أدخلته في نطاق سوسيولوجيا المعرفة والتي تعد حتى الآن فرعاً أساسياً من دراسات علم الاجتماع .(٥١)

استنتاجات الدراسة :

بناءً على ما تقدم من دراستنا لموضوع الظاهرة الاجتماعية عند إميل دوركايم يمكننا ان نقرر ما يأتي :

١- ان الظاهرة الاجتماعية عبارة عن قواعد واتفاقات مشتركة بين الأفراد تتعلق بإشباع الحاجات وبتحقيق المجتمع لأهدافه، علماً ان هذه القواعد والاتفاقات تتأثر بالبيئة الطبيعية التي توجد فيها، فالظاهرة الاجتماعية لا تنتج من فراغ وإنما تنتج من خلال تفاعل الأفراد وهم يشبعون حاجاتهم في بيئة معينة، لها خصائص محددة وتمارس عليهم نوعاً من القهر والإلزام، فتحدد حاجاتهم كما تحدد لهم وسائل إشباع هذه الحاجات، وهي بهذا المعنى لها وجود مستقل بذاته كما ان لها قوانيناً خاصة تخضع لها في تطورها وتغيرها .

٢- للظاهرة الاجتماعية صفاتها النوعية التي تتميز بها عن غيرها فهي أولاً موضوعية لأنها توجد بشكل مستقل عن الأفراد الذين أنتجوها . وهي ثانياً تتميز بالعمومية فالظاهرة الاجتماعية سواء كانت قواعداً أو اتفاقات مشتركة أم أنماطاً من السلوك المنظم والمتكرر، فهي تتصف بأنها عامة بين غالبية أفراد المجتمع الواحد وجماعاته . وثالثاً تمتاز بكونها إلزامية وانها تستمد سلطانها عليهم مما زودت به من قوة قاهرة تبدو فيما يحيق بهم من جزاء إذا سولت لهم نفس أي فرد منهم الخروج عليها أو التنكر لها . ورابعاً تتميز بأنها تنشأ نشأة تلقائية مستقلة عن إرادة الأفراد المكونين للمجتمع، فهي ليست من صنع فرد أو بضعة أفراد مجتمعين، بل هي نتاج المجتمع ذاته . وأخيراً تمتاز بالترابط وهذا الترابط أما ان يكون ترابطاً زمانياً أو مكانياً .

٣- يجب معالجة الظواهر الاجتماعية باعتبارها أشياء . وذلك بدلاً من الفكرة التي كانت سائدة في علم الاجتماع، حين كان العلم يعني بالتصورات بدلاً من التركيز على الأشياء، إذ يرى دوركايم انه من غير الممكن دراسة هذه الظواهر دراسة علمية صحيحة إلا تحرر من كل فكرة سابقة عنها وهذا وحده لا يكفي إذ لابد على الباحث ان يحدد هذه الظواهر وتعريفها بصفاتها المميزة بصورة مستقلة عن الصور التي تتجلى فيها في الحالات الفردية .

٤- يرى دوركايم بان الظواهر الاجتماعية لا يمكن تفسيرها إلا بالظواهر الاجتماعية التي تعززها وتكتمل معها، كما لا يمكن اختزال الظواهر الاجتماعية بالظواهر النفسية أبداً بل العكس هو الصحيح . فلا يجوز ان نفسر ظاهرة اجتماعية بظاهرة اقل منها في المرتبة كالظواهر الفلسفية والحيوية، لأن تفسيرها بهذه الظواهر إنما لا يستطيع ان يفسر لنا إلزاميتها . بل يجب ان يبحث عن تفسير الظواهر في الوسط الاجتماعي الذي نعيش فيه . وأما عن طرقه المنهجية فتتمثل بالملاحظة والمقارنة وتتبع هذه الظاهرة وتفسيرها تفسيراً وظيفياً من خلال انجازاتها وأدوارها في السياق البنائي الكلي .

٥- هناك نوعين من الظواهر الاجتماعية لابد على الباحث التفريق بينهما هما الظواهر السليمة والظواهر المعتلة . فالأولى هي التي تعم في المجتمع وتربط بالشروط الاجتماعية الحقيقية فيه في الوقت ذاته، أي انها تلك الظواهر التي توجد بالشكل الذي يجب ان تكون عليه . أما النوع الثاني من الظواهر فهي تلك التي لا ينطبق عليها الوصف المشار إليه أنفاً، والتي لا تستمر إلا بحكم العادة العمياء وحدها وهي التي تكون على نحو مغاير للنحو الذي توجد عليه الآن .

٦- ارتبطت معالجة دوركايم للظواهر الاجتماعية ارتباطاً وثيقاً بمناقشاته العديدة للضمير الجمعي الذي أوضح دوركايم عناصره العقلية والأخلاقية، حين حاول الكشف عن وظائف القوى الجمعية في الحياة الاجتماعية . ويرى بعض الدارسين ان تحليله للظواهر الجمعية والعقلية يقترب في بعض جوانبه من التصور الحديث لدور الثقافة في الحياة الاجتماعية . وقد اعتمد دوركايم هذا المنهج في التحليل في أعماله الأساسية التي أجراها عن تقسيم العمل الاجتماعي والانتحار والتفسير الاجتماعي للدين .

Abstract :

The study deals with the sociological phenomenon, which represents the main intellectual concern in sociology of Emile Durkheim. The sociological phenomenon of Durkheim is distinguished by qualitative characteristics , and it has independent existence from the other phenomena. Similarly, these phenomena adhere in their

genesis , development , and changes into laws , which must be discovered because these sociological phenomena are real as all the other things studied empirically in the materialistic world. Thus ,these phenomena must be measured by observation , yet this does not mean that they are materialistic things , but they have real existence and imaginative vision .thus , the sociologist should study them in scientific methods , without depending on prior philosophical ideas . and through this method , though this separation is not ultimate , because the general principles of sociology still need specific philosophy through which they are interpreted and analyzed . Durkheim's aim was to create a new philosophy built on what is synthesized from sciences , especially the new science of sociology.

According to what mentioned above , this study sheds light on this important subject , which is essential in the contemporary sociological thought . the study includes two sections , the first one deals with the sociological phenomenon , while the second analyzes the sociological phenomenon of Emile Durkheim . it is divided into three sub-section ; dealing with the meaning of sociological phenomenon and its qualitative features ; Durkheim's methodology in studying the sociological phenomena ; and the collective forces and the study of sociological phenomena .

الهوامش البحث ومصادره

(١) عبد المعطي، عبد الباسط (الدكتور) . اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،١٩٨١، ص ص ١١٢-١١٣. وأيضاً عثمان، إبراهيم عيسى (الدكتور) . الفكر الاجتماعي والنظريات الكلاسيكية، عمان دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩، ص ص ١٠٩ – ١١٠. وانظر أيضاً : Coser,L.Masters of Sociological Thought, New York, Harcourt Brace,1977,P.P.143-146. وانظر أيضاً الموقع : http://www.dzworld.org/vb/showthread.php?t=32057

(٢) الحسن، إحسان محمد (الدكتور). المدخل إلى علم الاجتماع، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع ،٢٠٠٦، ص١٥١.

(٣) محمد، محمد علي (الدكتور) . تاريخ الفكر الاجتماعي : الرواد والاتجاهات المعاصرة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٨، ص١٨١.

(٤) الحسن، إحسان محمد (الدكتور). النظريات الاجتماعية المعاصرة : دراسة تحليلية – تطبيقية في النظريات الاجتماعية، بغداد، مطبعة الرسائل، ٢٠٠٥، ص ص ٢٥٢-٢٥٣.

(5) Ginsberg , M. Sociology , London , Oxford University Press , 1980,P.7.

(6) Johnson, H . Sociology : A Systematic Introduction , Routledge & Kegan Paul , 1981, P.16.

(٧) خيري، مجد الدين عمر(الدكتور) . علم الاجتماع : الموضوع والمنهج، عمان، دار مجدلاوي للنشر، ١٩٩٩، ص٣٧.

(٨) الهواري، عادل مختار (الدكتور). أسس علم الاجتماع، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ١٩٨٨، ص١٨٠.

(9) http://www.eshamel.net/vb/archive/index.php/t-19875.html

(10) http://www.socialar.com/vb/archive/index.php/t-6364.html

(١١) الهواري، عادل مختار (الدكتور). مصدر سبق ذكره، ص ١٨٠.

(١٢) المكان نفسه .

(١٣) المصدر نفسه، ص ص١٨٠-١٨١.

(14) http://www. algerianumidia.maktoobblog.com/1616815/

(١٥) دوركايم، إميل. قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمه وقدم له د.محمود قاسم ومراجعة د. السيد البدوي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤، ص ص ٦٨-٦٩.

(١٦) تيماشيف، نيقولا . نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ط٤، ترجمة الدكتور محمود عودة وآخرون، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧، ص١٦٩.

(١٧) ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ب ت، ص ص ٢٦١-٢٧١.

(١٨) دوركايم، إميل . مصدر سابق، ص ص ٣٢-٤٤.

(١٩) عبد الباقي، زيدان (الدكتور) . التفكير الاجتماعي : نشأته وتطوره، القاهرة، دار نشر الثقافة، ١٩٧٢، ص١٠٠.

(٢٠) سعفان، حسن شحاتة (الدكتور) . تاريخ الفكر الاجتماعي والمدارس الاجتماعية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٦، ص ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٢١) عبد الجبار، نبيل عبد الحميد (الدكتور). تاريخ الفكر الاجتماعي، عمان، منشورات دار دجلة، ٢٠٠٩، ص ١٧٣.

(٢٢) الحسن، إحسان محمد (الدكتور). النظريات الاجتماعية المعاصرة، مصدر سبق ذكره، ص ص ٢٥٣-٢٥٤ .

(٢٣) محمد، محمد علي (الدكتور) . مصدر سابق، ص ٢٠٠.

(٢٤) تيماشيف، نيقولا . مصدر سابق، ص ص ١٦٩-١٧٠.

(٢٥) دوركايم، إميل . مصدر سابق، ص ٥٣ . وانظر أيضاً : Swingewood ,A. A short History of Sociological Thought, New York , Martinus Press,1986, P.99.

(٢٦) دوركايم، إميل . مصدر سابق، ص ٥٣-٥٤ .

(٢٧) تيماشيف، نيقولا . مصدر سابق، ص ١٦٩ .

(٢٨) سعفان، حسن شحاتة (الدكتور) . مصدر سبق ذكره، ٢٤٨ .

(٢٩) خيري، مجد الدين عمر(الدكتور) . مصدر سابق، ص ٤٢ . وانظر أيضاً : الخشاب، احمد (الدكتور) . التفكير الاجتماعي – دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١، ص ص ٥٩٣-٥٩٤ .

(٣٠) الخشاب، احمد (الدكتور) . ص ٥٩٤ .

(٣١) خيري، مجد الدين عمر(الدكتور) . مصدر سابق، ص ص ٤١ – ٤٢ .

(٣٢) عبد الجبار، نبيل عبد الحميد (الدكتور) . مصدر سبق ذكره، ص ١٧٦ .

(٣٣) الخشاب، احمد (الدكتور) . ص ٦٠٢ .

(٣٤) عبد الجبار، نبيل عبد الحميد (الدكتور) . مصدر سبق ذكره، ص ١٧٥ . وانظر أيضاً : الخشاب، احمد (الدكتور) . ص ٦٠٢ -٦٠٣ . و خيري، مجد الدين عمر(الدكتور) . مصدر سابق، ص ٤٢-٤٣ .

(٣٥) الخشاب، احمد (الدكتور) . ص ٥٨٧ . و عبد الجبار، نبيل عبد الحميد (الدكتور) . ص ١٧٦ – ١٧٧ .

(٣٦) تيماشيف، نيقولا . مصدر سابق، ص ١٧٠ .

(٣٧) الحسن، إحسان محمد (الدكتور) . المدخل إلى علم الاجتماع، مصدر سبق ذكره، ص١٥٣.

(٣٨) سعفان، حسن شحاتة (الدكتور) . مصدر سابق، ص٢٥٢ .

(٣٩) تيماشيف، نيقولا . مصدر سابق، ص ١٧٠ .

(٤٠) سعفان، حسن شحاتة (الدكتور) . مصدر سابق، ص٢٥٢ .

(٤١) دوركايم، إميل . ص ص ٧٠ – ١٢١ . وانظر أيضاً : الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، النظريات الاجتماعية المعاصرة، ص ٢٦١ . و عبد الجبار، نبيل عبد الحميد (الدكتور) . ص ١٧٩ . و أيضاً : http://socegy.4ulike.com/t689-topic

(٤٢) خيري، مجد الدين عمر(الدكتور) . مصدر سابق، ص ٤٣ وللمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع أنظر : http://rewayat2.com/vb/showthread.php?p=153437

(٤٣) للمزيد من المعلومات حول قواعد التفرقة بين الظواهر السليمة والمعتلة انظر : دوركايم، إميل، ، ص ص ١٢٢ – ١٦٨ . وانظر أيضاً : محمد، محمد علي (الدكتور) . ص ٢٠١ وما بعدها .

(٤٤) تيماشيف، نيقولا . ص ١٧١ وما بعدها .

(45) Durkheim , E. The Division of Labor in Society ,New York , The Free Press , 1964 , P.P. 257-262.

وانظر كذلك : سعفان، حسن شحاتة (الدكتور) . مصدر سابق، ص ٢٥٥ .

(٤٦) غدنز، أنتوني . علم الاجتماع، ترجمة وتقديم د. فايز الصيّاغ، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٥، ص ٦٥ . وانظر أيضاً : تيماشيف، نيقولا . ص ص ١٧٢ – ١٧٣ . والنوري، قيس (الدكتور) والحسني، عبد المنعم (الدكتور). النظريات الاجتماعية، بغداد، مطابع التعليم العالي، ١٩٨٥، ص ١٠٦ وما بعدها .

(٤٧) غدنز، أنتوني . ص ٦٥ . وانظر أيضاً : احمد، سمير نعيم (الدكتور) . النظرية في علم الاجتماع، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٨٥، ص ص ١٠١ – ١٠٧ . و انظر كذلك : وليد نويهض، دوركايم وفلسفة الانتحار الاجتماعي، صحيفة الوسط البحرينية، العدد ٢٨٦٣، الجمعة ٩ يوليو ٢٠١٠ .

(٤٨) غدنز، أنتوني . المصدر السابق، ص ٦٦ .

(49) Durkheim , E. Suicide , New York , The Free Press , 1971, P.P.52-75.

وانظر أيضاً : مسلم، عدنان احمد (الدكتور) . محاضرات في علم الاجتماع، دمشق، جامعة دمشق ١٩٩٠، ص ص ٧٣ – ٧٥ . وأيضاً : http://bialabanat.ahlamontada.net/t10238-topic

(50) Durkheim , E. The Elementary forms of Religious Life , London , Allen & Unwin , 1976, P.P.47- 49.

وانظر أيضاً : الخشاب، احمد (الدكتور) . ص ص ٦٠١ – ٦٠٢ . وانظر أيضاً : http://omar.socialindex.net/dorkhaim.html

(٥١) تيماشيف، نيقولا . ص ١٧٩ .